الصراع الدوناتي الكاثوليكي في المغرب القديم (من خلال كتابات القديس أوغسطين) (311م –411م)

د. عولمي الربيع /قسم التاريخ والآثار / جامعة باتنة–1–
rabieoulmi@yahoo.fr

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز جذور الانشقاق الدوناتي وخلفيات الصراع الدوناتي–الكاثوليكي في المغرب القديم الذي يعود إلى اضطهادات الامبراطور "ديوكليتيانوس" (*Dioclétianus*) للمسيحيين خلال الفترة (303م–305م) والتي أدت إلى ارتداد عدد كبير منهم، وطرحت مشكلة الانقسام بقوة في الكنيسة الإفريقية. وتكرس الانشقاق على إثر سيامة "كايكليانوس" أسقف قرطاجة في 311م، بعد وفاة "مونسوريوس"، ووجدت الكنيسة الإفريقية نفسها منقسمة بين أسقفين وحزبين: الكنيسة الدوناتية والكنيسة الكاثوليكية.

دخل القديس "أوغسطين" حلبة الصراع على الصعيد اللاهوتي منذ 392م على رأس أسقفية هيبو–ريجيوس (عنابة حاليا)، وترأس مجمع هيبون سنة 393م الذي أدان الدوناتيون. وعلى مدى أكثر من قرن من الزمن وقفت الدوناتية في وجه الكنيسة الكاثوليكية، والسلطة الزمنية الرومانية التي تدعمها حتى انعقدت مناظرة قرطاجة بطلب من الإمبراطور التي أقرت مبدأ حظر وتحريم الدوناتية رسميا سنة 411م.

الكلمات المفتاحية: الانشقاق، الكنيسة الدوناتية، الكنيسة الكاثوليكية، القديس "أوغسطين"، مناظرة قرطاجة.

Abstract :

This study aims at highting the roots of the Donatical schism, and the background of the Donatical-Catholic conflict in the ancient maghreb, which dates back to the persecution of christians by the emperor *Dioclétianus* during the period (303-305 A.D.), which led to the rebelling of many of them. The problem of devision nas strongly raised in the African church. The schism is dedicated to the influence of *Caecilianus* Bishop of Carthage in 311 A.D., after death of *Mensurius*, the African church found itself was divided between two Bishops and two parties : the Donatist church and the Catholic church.

Saint -Augustine entered the arena of conflict since 392 A.D., at the head of his Bishop *Hippo-Régius* (Annaba currently), he presided over the *Hippone* complex in 393 A.D., which condemned the Donatists, and for more than a century, The Donatist Church stood in the face the Catholic church and the Roman temporel authority that supported it until the Carthage debate was help at the request of the emperor, who approved the principle of attending and forbidding the Donatism officially in 411 A.D.

Key Words : Saint Augustine, the Donatist church, the Catholic church, the Carthage debate, the Schism.

مقدمـــة:

تبلورت فكرة تأسيس حركة دينية اصطلح على تسميتها بـ "الحركة الدوناتية" في بداية القرن الرابع الميلادي، على إثر اضطهادات "ديوكليتيانوس" (*Dioclétianus*) للمسيحيين في المغرب القديم خلال الفترة (303م-305م). وبعد وفاة الأسقف "بولوس" حيث انعقد مجمع كنسي بمدينة سيرتا سنة 305م لتعيين أسقف جديد للمدينة.

يعود ظهور الدوناتية إلى مجموعة من الأسباب أبرزها: أن الأساقفة النوميد طعنوا-وعلى رأسهم الجثليق سوكوندوس (*Secundus*)-في سيامة أسقف قرطاجة "كايكيليانوس" (*Caecilianus*) وبعض الأساقفة الذين انتخبوه في هذا المنصب، بتهمة تسليم الكتب المقدسة والأواني الكنسية إلى السلطة الرومانية الوثنية أثناء "الاضطهاد الأكبر" في عهد الإمبراطور "ديوكليتيانوس" (284-305م). وقد ظل الدوناتيون يصفون أعدائهم الكاثوليك بكنيسة "المتخاذلين" *Traditores*، [1] وكانوا ينعتونهم أيضا بحزب "كايكيليانوس" (*Pars Caeciliani*)، وبنعوت أخرى شائنة، ولم ينعتوهم أبدا "بالكنيسة الكاثوليكية" لأنهم كانوا يعتبرون أنفسهم أصحابها الحقيقيين.

وإذا كانت الدوناتية قد ظهرت في نوميديا فإن بغاي تعتبر من أكبر معاقلها، حيث وقعت بها معظم أحداث التاريخ الدوناتي كمعركة 347م، وانعقد بها مجمع البريميانيين (*Primianistes*) سنة 394م. ويمكننا أن نتساءل في هذا السياق: ما الظروف التي ساعدت على ظهور الحركة الدوناتية؟ لماذا ظهرت في نوميديا وتحديدا في بغاي دون غيرها من مناطق المغرب القديم؟ وما خلفيات الصراع الدوناتي الكاثوليكي؟ وهل كان للسلطة الرومانية يد في ذلك الصراع؟ ثم كيف تطورت الحركة الدوناتية من حركة دينية محلية إلى حركة ذات طابع اجتماعي-سياسي عارضت الكنيسة الكاثوليكية

والسلطة الزمنية في كل الشمال الإفريقي القديم؟ وما دور أوغسطين في القضاء على الدوناتية وتحريمها في سنة 411م؟

1–ظهور الحركة الدوناتية:

لايزال تاريخ جذور الدوناتية وبداية الانشقاق الدوناتي يكتنفه كثير من الغموض. وينطلق المؤرخون أساسا مما اصطلح على تسميته بـ "ملف الدوناتية" [2] الذي يتكون من مجموعة من الوثائق الإدارية والكنسية التي يتراوح تاريخها ما بين 314م و330م.

والحقيقة، أن بعض رجال الدين الكاثوليك قاموا بجمع تلك الوثائق في ملف خاص، بهدف استعمالها في المساجلات الكلامية مع الدوناتيين وذلك قبل 347م حسب ما ذكره لويس دوشين [3] (*L. Duchesne*). وقد توفر هذا الملف بيد أول مجادل كاثوليكي ذكر في كتابات القديس " أوبطاتوس الميلي" (*Sanctus Optatus Milevitanus*) [4] الذي انطلق من تلك الوثائق لرواية بداية الانشقاق والرد على الزعيم الدوناتي "بارمينيانوس" [5] (*Parmenianus*) في حوالي سنة 366م.

واحتد النقاش بين المؤرخين حول صحة بعض الوثائق وأصالتها، باعتبار أنها تخدم الكاثوليكية صراحة، والتي إذا سلمنا بها حرفيا فإنها تبرز أن المنشقين كانوا خليطا من مغامرين حاولوا خداع الكثير من مسيحيي المغرب القديم بإتباع أسلوب المغالطات والادعاءات الملفقة والأكاذيب. [6]

تبرز مختلف الشهادات التي أشارت إلى بداية الانشقاق، أن اضطهادات الإمبراطور "ديوكليتيانوس" *Dioclétianus* للمسيحيين في بلاد المغرب القديم خلال الفترة (303– 305م) أدت إلى ارتداد عدد كبير منهم، وطرحت مشكلة الانقسام

بقوة في الكنيسة الإفريقية التي ظلت دائما متحدة كما وصفها القديس "سبريانوس *Saint-Cyprianus* بقوله: « الكنيسة الكاثوليكية واحدة » (*De Catholicae Ecclesiae Unitate*) والتي أصبحت مهددة نتيجة هذه الاضطهادات العنيفة مع بداية القرن الرابع الميلادي، وأدت إلى ضعف همة الكثير من رجال الدين أمام هذا التهديد، حتى أنهم سلموا نسخ من الكتاب المقدس إلى السلطات الرسمية المنفذة للاضطهاد، فاعتبروا لدى المنشقين "متخاذلين" (*Traditores*) وعلى العكس من أولئك "المرتدين- *Lapsi* " [7] والمتخاذلين، صمد عدد كبير من المسيحيين بشجاعة أثناء تلك الأزمة، فأودعوا سجون قرطاجة، بل أعدم الكثير منهم. [8]

أما المقرون بعقيدتهم (*Confessores*) فقد اتخذوا موقفا متطرفا من المرتدين والمتخاذلين، ورفضوا التعامل معهم بأي شكل من الأشكال بعد انتهاء الإضطهاد سنة 305 م. [9] وكان من ضحايا هذا الاضطهاد شهداء قرية "أبيتينا" [10] (*Abitina*) قرب قرطاجة في 12 فيفري سنة 304م، الذين اتهموا بعقد اجتماعات ممنوعة.

فبعدما استنطقوا تعرضوا للتعذيب ثم أودعوا السجن بقرطاجة، وقرروا طرد كل المسيحيين المتخاذلين الذين ضعفوا أيام الاضطهادات، وأصدوا بيانا "ميثاق شهداء أبيتينا" (*act martyrum*) واعتبر بمثابة قانون، ويدعو إلى ضرورة انفصال "الشهداء *Martyres*" عن كل المتخاذلين، وطلبوا من كل المسيحيين الأطهار الإلتزام به وتطبيقه. وقد تمخضت الدوناتية ووجدت تبريرها التاريخي من خلال هذا الانفصال، فكان الدوناتيون يدعون أنهم خلف الشهداء وكنيسة الصامدين، وأن خصومهم هم "أبناء المتخاذلين". [11]

وأهم ما جاء في البيان ما يأتي: « **إن كل من اتحد مع الخونة والمتخاذلين، لن يكون في صفنا، ولن يشاطرنا العيش في ملك السموات**. » [12] لقد أحدث هذا

البيان صدى مؤثرا في مناطق كثيرة من المغرب القديم وخاصة في نوميديا، وأصبح سلاحا ضد الأسقف "مونسوريوس" *Mensurius* [13] وأنصاره.

ومنذ أحداث قرية "أبيتينا" *Abitina* سنة 304م بدأ الانشقاق يتسع في الكنيسة الإفريقية، والذي اتضحت معالمه بعد انتهاء الاضطهاد ببضع سنوات (311-312م)، خاصة اضطهادات الإمبراطور "ديوكليتيانوس" التي تركت أثرا عميقا في المغرب القديم، تمثل في حدوث الانشقاق في الكنيسة الإفريقية التي ظلت موحدة كما ذكرنا آنفا.

وتشير الوثائق –المذكورة آنفا–إلى أن الخلافات كانت عميقة، من ذلك ما ذكرته المصادر عن المجمع الكنسي الذي عقد بمدينة سيرتا (*Concili Cirtensis*) في 5 مارس 305م، لتعيين أسقف جديد للمدينة بعد وفاة الأسقف "بولوس" *Paulus*. [14]

وقد تم انتخاب نائب الشماس سيلفانوس "*Silvanus*" [15] كأسقف جديد لمدينة سيرتا، رغم معارضة الكثير من رجال الدين ووجهاء المدينة، الذين اتهموه بالخيانة. [16]

ويبدو أن الردة امتدت أيضا إلى نوميديا. وانعقد مجمع سيرتا بقيادة الأسقف سكوندوس "*Secundus*" بحضور اثني عشر (12) نوميديا. [17]

إن الأساقفة المجتمعون في "سيرتا" سنة 305م قد أصبحوا –بعد سبع سنوات–من أبرز مؤسسي الكنيسة المنشقة. لا شك أنهم قد استعملوا لغة أخرى في سنة 312م حيث قاموا بسيامة أسقف قرطاجة، وقد أطلقوا على أنفسهم اسم "القديسين" (*les Saints*) و"الأطهار" (*les Purs*). [18]

كانت بداية التحول في تاريخ الكنيسة في المغرب القديم بوفاة "مونسوريوس" أسقف قرطاجة سنة 311م أثناء عودته من روما. وكان قد لبى دعوة رسمية وجهت له من قبل الإمبراطور، وقبل أن يسافر عزم على أن يضع كنوز الكنيسة في مكان آمن، بعد

أن وضع قائمة جرد، عهد بها إلى امرأة عجوز وطلب منها أن تسلم هذه الوثيقة إليه بعد عودته أو إلى من سيخلفه.

والتقى "مونسوريوس" بالإمبراطور وبمجموعة من الأمراء، بروما وهو حدث غير مسبوق في علاقة السلطة الزمنية بالمسيحية. لكن بعد وفاته بدأت مشكلة البحث عن خليفة له–في ظل مكائد ومؤامرات–وتسبب ذلك في صراع حول الكرسي الأسقفي تطور فيما بعد إلى انشقاق في الكنيسة الإفريقية.[19]

وهكذا عين "كايكليانوس" (*Caecelianus*) أسقفا جديدا لقرطاجة الذي كان شماسا (*Diaconus*) لدى "مونسوريوس"، غير أن هذا التعيين ("السيامة" *Ordinatio*) تم في غياب كبير أساقفة نوميديا، مما يعد خرقا للأعراف والتقاليد المعمول بها في الكنيسة الافريقية. وقد توجه "سكوندوس"–جثليق نوميديا– (*Episcopus Primae Sedis*) إلى قرطاجة للاحتجاج على هذا الخرق رفقة مجموعة من أساقفة نوميديا، وطعنوا في سيامة كايكيليانوس لكونها تمت– حسب اعتقادهم– على يد شرذمة من الأساقفة المتخاذلين إبان الاضطهاد.[20]

وفي مدينة قرطاجة نفسها، عجز "كايكيليانوس" عن تحقيق الإجماع، بحيث اتهمه المتطرفون بسوء معاملته للمسيحيين السجناء خلال فترة الاضطهاد، حيث كان يقوم بحراسة السجون، وكان يمنع إخوانهم في الدين من زيارتهم ومواساتهم في سجون قرطاجة. وترك المقرون بعقيدتهم يموتون جوعا في السجن، لذلك لقب بالجلاد "*Eudinepisus*" وهو لقب معيب وشائن ذو أصول لغوية بونية.

يتضح مما سبق أن مصالح المتطرفين القرطاجيين المناوئة لكايكليانوس، مع ادعاءات الأساقفة النوميديين، كرست الانقسام والانشقاق في الكنيسة المسيحية الإفريقية.

ووجهت الاتهامات أيضا إلى "فليكس" *Felix* أسقف "أبثوكني" *Abthugni*[21] بالخيانة والتخاذل أثناء الإضطهادات.[22] وإلى الكاهنين "بطرس" (*Botrus*) "وكايلستيوس" (*Caelestius*) بقرطاجة والمتهمين بتعيين وسيامة "كايكيليانوس" أسقفا جديدا لقرطاجة.[23]

لذلك توجه سبعون (70) أسقفا نوميديا إلى قرطاجة في 312م وانتخبوا الأسقف "ماجورينوس" (*Majorinus*)[24] أسقفا لكنيسة قرطاجة، بعد إدانة الشماس "كايكيليانوس" وعدم الاعتراف بشرعيته على كرسي الأسقفية،[25] وأمروه بالمثول أمام المجمع للمحاكمة بتهمة الخيانة وتقديم الأواني والكتب المقدسة إلى السلطة الرومانية.[26] لكنه رفض وأصر على شرعيته، من هنا بدأ الانشقاق في الكنيسة الإفريقية والذي أخذ يكتسي طابع العلنية وينتشر في كامل المغرب القديم،[27] وإن كانت جذوره تعود إلى أحداث قرية أبتينيا سنة 304م. وتذكر المحاضر الرسمية بخصوص المفاوضات التي دارت بين "كايكيليانوس" والقساوسة النوميديين الذين وجهوا له التهم، أنه حاول تبرئة ذمته وطلب منهم أن يقدموا أدلة إدانته إن كانت لديهم أدلة.[28]

وتشير المحاضر أن امرأة غنية ذوي أصول إسبانية تدعى "لوكيلا"[29] (*Lucilla*) لعبت دورا هاما في عدم الاعتراف بانتخاب كايكيليانوس وسيامته وتعيين القارئ *lector* "ماجورينوس" مكانه وذلك بعقد المجمع المناهض له في بيتها بقرطاجة سنة 312م، والذي تحول إلى مقر لحبك الدسائس وعقد اجتماعات الساخطين، وحضره سبعون (70) أسقفا نوميديا، وبعض زعماء بروتوكول سيرتا (305م).[30]

وإذا كان أوغسطين قد اتهم "لوكيلا" في حوالي سنة 400م –استنادا إلى تحقيقات جرت بعد سيامة "ماجورينوس"–بأنها قامت بشراء ذمم بعض قساوسة المجمع، واستطاعت أن تحقق هدفها بإدانة "كايكيليانوس" وانتخاب "ماجورينوس".[31] فإن

"مارتروي" (*Martroye*) أرجع الخلاف بين "كايكيليانوس" ولوكيلا إلى أحقاد شخصية، حيث قامت هذه الأخيرة بتحريض النوميديين ضد "كايكيليانوس" الذي يكون قد لامها فيما مضى حينما كان شماسا.[32]

وحسب اعتقادي فإن هذه الخلافات بين "كايكيليانوس" و"لوكيلا" قد تعود إلى أحقاد شخصية ودوافع ذاتية، بقدر ما هي خلافات عميقة بين كنيسة نوميديا وكنيسة قرطاجة بزعامة "مونسوريوس" ثم كايكيليانوس فيما بعد، والمتهمين بالخيانة والتواطؤ والتخاذل أثناء فترة الاضطهاد، وبتسليم الأواني والكتب المقدسة إلى السلطة الرومانية الوثنية. وبعد وفاة ماجورينوس أثناء انعقاد مجمع روما سنة 313م، خلفه الأسقف "دوناتوس الأكبر" [33] (*Donatus*)، الذي أعطى اسمه للدوناتيين (*Donatismus*) وكان يملك صفات القائد، فأسس ودعم-باستعمال كل الوسائل- الكنيسة الجديدة.[34]

وقد اعتبر دوناتوس الكنيسة الجديدة هي الكنيسة الكاثوليكية الحقيقية،[35] وسماها "كنيسة الشهداء". وبذلك ظهرت الحركة الدوناتية التي حملت اسمه والتي عرفت أيضا بـ "حزب دوناتوس" *Pars Donati* [36] وهكذا انقسمت الكنيسة المسيحية وتكتل كل فريق لمواجهة الفريق الآخر، فتزعم "كايكيليانوس"[37] (*Caecelianus*) الكنيسة "الكاثوليكية"، وهي حليفة السلطة الزمنية، أما الكنيسة "الدوناتية" فترأسها الأسقف "دوناتوس" (*Donatus*). وسرعان ما دعمت السلطة الزمنية الكنيسة الكاثوليكية بشكل عام، في حين اضطهد معظم الأباطرة الرومان الكنيسة الدوناتية.

واتجه كل فريق إلى الدفاع عن وجهة نظره وقناعاته، فالدوناتيون سعوا بكل الوسائل إلى إلصاق التهم بالكاثوليك، والكاثوليك سعوا بدورهم إلى نعت الدوناتيين بكل النعوت التي تجعلهم خارجين عن الكنيسة، وأدى هذا الصراع إلى الصدام الفكري

خاصة وأن الدوناتيين رفضوا–في أغلب الأحيان–المناظرة المباشرة مع الكاثوليك الذين كانوا يصفونهم بالمتخاذلين والمضطهدين.[38]

وقد رفض الدوناتيين حضور مناظرة قرطاجة سنة 411م–التي قرر الإمبراطور نفسه عقدها بين الكاثوليك والدوناتيين– إلا مرغمين وتحت التهديد. وأدى ذلك إلى تطور الجدل الكلامي بين مفكري الكنيستين، وبروز مفكرين [39] وشخصيات فذة من هذا الجانب أو ذاك، بعضها لعب أدوارا أساسية في تطور الفكر المسيحي برمته، ونقصد بذلك على الخصوص القديس أغسطين.[40]

صفوة القول أن ظهور الدوناتية في المغرب القديم في بداية القرن الرابع للميلاد، يعود إلى مجموعة من الأسباب أبرزها: أن الأساقفة النوميديين طعنوا– وعلى رأسهم الجثليق سوكوندوس (*Secundus*)– في سيامة أسقف قرطاجة "كايكيليانوس" وبعض الأساقفة الذين انتخبوه في هذا المنصب، بتهمة تسليم الكتب المقدسة والأواني الكنسية إلى السلطة الرومانية الوثنية أثناء "الاضطهاد الأكبر" في عهد الإمبراطور "ديوكليتيانوس (303–305م)، وقد ظل الدوناتيون يصفون الكاثوليك بكنيسة "المتخاذلين" *Traditores*، وينعتونهم أيضا بحزب "كايكيليانوس" (*Pars Caeciliani*)، ولم ينعتوهم أبدا "بالكنيسة الكاثوليكية" لأنهم كانوا يعتبرون أنفسهم أصحابها الحقيقيين.

وهكذا تميز تاريخ العلاقة بين المسيحية والسلطة الرومانية على مدار ثلاثة قرون من الزمن بالعداء الشديد، وضراوة الصراع، فقد سعت السلطة الزمنية للقضاء على جذور المسيحية في المغرب القديم، وكانت تنظر إليها على أنها عامل هدم لأركان الإمبراطورية الرومانية.

2–جذور الصراع الدوناتي الكاثوليكي:

تفاقمت أوضاع المغرب القديم في عهد الإمبراطور "قسطانتيوس" (*Constantius*) الذي خلف والده قسطنطين (*Constantin*) المتوفى في 22 ماي سنة 337م. [41] وكان يعتقد أنه سينجح فيما فشل فيه والده، لذلك حاول السير على خطاه في البداية، فأصدر قانون إمبراطوري سنة 338م موجه إلى الأفارقة، [42] منتهجا سياسة المهادنة واللين فأرسل في سنة 347م محافظين إلى المغرب القديم هما: "بولوس" (*Paulus*)، و"ماكاريوس" (*Macarius*) [43] وكلفهما بتحقيق الوحدة الدينية بين الكنيستين المتعاديتين واستمالة المتعصبين من الدوناتيين – حسب ما أشار إلى ذلك أوبطا الميلي– عن طريق الإقناع أو الإستمالة، بتوزيع المساعدات والمؤن على مختلف الطوائف، بل ومنح الهدايا إلى العناصر المؤثرة في حزب دوناتوس. [44] لذلك عرف "بولوس" و"ماكاريوس" في تلك الفترة بـ " بناة الوحدة" (*Operarii Unitatis*).

عارض دوناتوس الأكبر سياسة الإمبراطور القائمة على أسلوب الإغراء وشراء الذمم بمنح المساعدات والصدقات لامتصاص غضب السكان ووقف في وجه مبعوثي الإمبراطور، لأن هذه السياسة تهدف أساسا إلى ضرب الحركة الدوناتية من الداخل. لذلك وجه دوناتوس رسالة دورية يمنع فيها السكان من قبول المعونات المقدمة من طرف المحافظين، وبذلك أحبط خططهم وآلت هذه السياسة إلى فشل ذريع. فما كان على المحافظان إلا أن لجأ إلى أسلوب العنف بعد استشارة الإمبراطور، الذي أصدر في منتصف سنة 347م "**مرسوم الوحدة**" الذي يقضي بتوحيد ودمج الكنيستين المتنافستين الدوناتية والكاثوليكية. ومعنى ذلك حل كل الطوائف المنشقة، ومصادرة جميع الكنائس والممتلكات ومنحها إلى الكنيسة الكاثوليكية. [45]

يعتبر إعلان الإمبراطور "قسطانتوس" عن قرار الوحدة، استمرارا لقانون والده "قسطنطين" المعلن سنة 316م والذي لم يكن ملغى أو منسوخا صراحة منذ صدوره،

لكن تطبيقه بقي معلقا بصدور مرسوم التسامح سنة 321م. [46] وتم تنفيذ مرسوم الوحدة في مقاطعات البروقنصلية وبيزاكينا (*Byzacène*) والطرابلسية (*Tripolitaine*) دون أية مقاومة. [47] ربما يعود ذلك لقلة عدد المنشقين في هذه المقاطعات، حيث لم يكونوا يشكلون مجموعات ملتحمة ومتماسكة، أو أن الثلاثين (30) سنة من السلم والأمن والازدهار التي عرفها المغرب القديم من 321م إلى 347م أفقدتهم نوعا من حيويتهم.

أما أحداث العنف الدموية فقد جرت في قرطاجة – على عكس المقاطعات المذكورة آنفا–التي كانت تضم عددا كبيرا من المنشقين، حيث تعد العاصمة الرسمية للدوناتية، ومقر إقامة الزعيم الدوناتي، ومكان انعقاد المجامع الكنسية، ومركز النشاط السياسي للحركة. [48]

وقد بدأ العنف حينما علق قرار بروقنصلي بقرطاجة في 15 أوت سنة 347م يتعلق بتوحيد الكنيستين، فقام أحد الدوناتيين يدعى "ماكسيميانوس" (*Maximianus*) بتمزيقه، فأوقف وتم تعذيبه في السجن، ولقي زميله "إسحاق" (*Isaac*) الذي شتم الكاثوليك نفس المصير. وبعد تعذيبهما ألقيا في البحر الذي لفظ جثتيهما فانتشلهما الدوناتيون فيما بعد. [49]

وفي نوميديا، أثار موسوم "قنسطانس" حربا دينية حقيقية، حيث اعتبرت الدوناتية في ثاموقادي (*Thamugadi*)، وتيفست (*Theveste*)، وبغاي (*Bagai*) ديانة وطنية. ذلك أن الطوائف المنشقة في هذه المناطق كانت أكثر عددا وقوة من الكاثوليك. وكانت مدينة بغاي من أهم المناطق المعارضة لقرار الوحدة. فقام دوناتوس بتنظيم الدفاع على المدينة، واستعان بالثوار الريفيين "الدوارين"،

circoncellions ونشر إعلانا تم توزيعه في تخوم نوميديا وأسواق المنطقة يدعو فيه المسيحيين الحقيقيين للمقاومة والدفاع عن كنائسهم.[50]

حصن دوناتوس مدينة بغاي وحول كنائسها إلى مخازن للحبوب وجمع المؤن استعدادا للمواجهة. ولما بلغت هذه الأخبار المحافظين أن دوناتوس قام بالتحضير للحرب، طلبوا مساعدة كونت (*conte*)[51] إفريقيا "سلفستر" (*Sylvestre*)[52]. فسارت فرقة من الجيش بقيادة أسقف إلى مدينة بغاي، وفي ضواحيها تلقت هذه الفرقة إهانات من قبل الدوناتيين، فما كان على الجيش إلا أن قضى عليها. وشهدت بغاي بعدها مواجهات دامية بين الجيش والدوناتيين في صيف سنة 347م، ويحتمل أن دوناتوس بغاي لقي حتفه أثناءها، وتم تكريمه فيما بعد كشهيد.[53]

وفي تلك الأثناء، انعقد مجمع إقليمي دوناتي في نوميديا في صيف سنة 347م، بهدف الاحتجاج على أعمال العنف التي قادها "ماكاريوس" (*Macarius*)، والدعوة إلى استعادة السلم والأمن في المنطقة، وعن هذا التدخل لرجال الكنيسة المنشقة قال أحد كتاب الحركة الدوناتية: «اجتمع أساقفتنا وقرروا إرسال عشرة من ألمع الأساقفة إلى ماكاريوس، وحملوا له تحذيرات شديدة، حتى يتوقف عن جرائمه التي راح ضحيتها الكثير من أنصارنا في ساحة هذه المعركة الدينية.»[54]

اجتمع هؤلاء الأساقفة بالمبعوث الإمبراطوري ماكاريوس في مدينة "فيجيزيلا" (*Vegesela*)[55] "قصر الكلب" حاليا شمال الأوراس بين مدينة تيفست (*Theveste*) تبسة حاليا وماسكولا (*Mascula*) "خنشلة حاليا" وبذلوا كل الجهد لاستعادة السلم، إلا أن تصرفهم اتسم بالفظاظة فكان رد "ماكاريوس" عنيفا إذ أمر بضربهم بالعصي، وزجهم في السجن.[56] أثارت هذه الأحداث غضب سكان منطقة فيجيزيلا الذين دخلوا في مناوشات مع جيش "ماكاريوس" فسقط عدد من الضحايا

منهم "فليكيانوس" (*Felicianus*) الذي قتل في 29 جوان سنة 347م بمدينة فيجيزيلا، [57] مما دفع المبعوث الإمبراطوري إلى إطلاق سراح تسعة أساقفة الذين أرسلهم مجلس سيرتا واحتجز الأسقف العاشر الذي كان أكثرهم صلابة، ويدعى "ماركولوس" (*Marculus*) الذي طاف به في عدة مدن نوميدية ثم قتله بأن ألقى به من أعلى جرف، وادعى الكاثوليك أنه انتحر بهذه الطريقة [56] في مدينة "نوفابترا" [58] (*Nova Petra*) في 24 نوفمبر سنة 347م. [59]

وقد أشار أوبطا الميلي أن الدوناتيين أكدوا فيما بعد أن جلادي "مكاريوس" ألقوا به حيا من أعلى أحد الجروف وأصبح قبره فيما بعد محجا للكثير من الدوناتيين. [60] والحقيقة أن مرسوم قنسطانس أثار غضب جزء كبير من سكان المغرب القديم-حسب ما ذكره أوغسطين-، ومع انتشار القمع أدى ذلك إلى فرار أغلب الأساقفة ورجال الدين الدوناتيين مع أتباعهم من قرطاجة ونوميديا إلى مناطق أكثر أمنا. [61]

ونشبت معارك طاحنة خلفت عدة ضحايا أضيفوا إلى قائمة الشهداء في فترة عرفها الدوناتيون "بزمن ماكاريوس" (*Macarius Tempora*). ويذكرنا الانشقاق الماكسيمياني بميلاد الدوناتية في بداية القرن الرابع الميلادي، "فالانشقاق يولد الانشقاق، تلك هي إرادة الله" حسب ما ذكره أوغسطين. [62]

إن الاعتقاد بتدخل العناية الإلهية أعاد الثقة إلى الكاثوليك، فبعد ثلاثة أشهر من انعقاد مجمع "كابرسوسة"، انعقد مجمع كاثوليكي موسع بهيبو- ريجيوس (*Hippo- Régius*) مدينة أوغسطين في 8 أكتوبر 393م، برئاسة " أوريليوس" [63] (*Aurelius*) الأسقف القرطاجي. يبدو أن هذا المجمع أعاد تنظيم الكنيسة الإفريقية، وأقر عدة إصلاحات وقوانين تستهدف الدوناتية، منها قانونين هما:

1-احترام كرامة رجال الدين الدوناتيين الذين عادوا إلى الكاثوليكية ولم يعمدوا ثانية.

2- سيامة المهتدين والتائبين الذين عمدوا في طفولتهم من طرف المنشقين وأن يصبحوا رجال دين.[64]

يبدو أن القوانين الكنسية السابقة الذكر، إما أنها مستوحاة من أوغسطين،[65] أو أن مجمع هيبون هو الذي اقترح عليه فكرة مقاومة الانشقاق باستعمال كل الوسائل حتى تستعيد كنائس المغرب القديم أمنها ووحدتها الدينية. لقد انضم أغلبية الدوناتيين – بالرغم من ذلك-إلى "بريميانوس" الذين استجابوا لندائه حينما دعاهم في السنة الموالية في 394م، إلى معقل الدوناتية في نوميديا، مدينة بغاي[66] (*Bagai*) التي احتضنت مجمعا عاما ضم كل المقاطعات الإفريقية، (*Concilium Plenarium , Universale*)، فحضر هذا المجمع ثلاثمائة وعشرة (310) من الأساقفة البريميانيين برئاسة بريميانونس نفسه ، وأصدروا في 24 أفريل سنة 394م الحكم الآتي:

خلع ماكسيميانوس، مع اثنى عشر (12) أسقفا من الذين أشرفوا على سيامته، وعزل كل رجال الدين المتمردين في قرطاجة، وتهديد كل المنتسبين إلى حزب الماكسيميانيين بالإذعان والخضوع في أجل قدره ثمانية (8) أشهر بالحرم والفصل. وبذلك وجهت رسائل كنسية إلى كل مقاطعات المغرب القديم تحذر الطوائف المنشقة من رعب اللعنة البريميانية.[67]

وقد لجأ الفريقان إلى السلطة لانتزاع ممتلكات الكنيسة[68] من الفريق الآخر، وتدخل "البريميانيين" بالقوة أحيانا لاسترجاع تلك الممتلكات من "الماكسيميانيين"[69] وانتهى السجال بانتصار البريميانيين سنة 397م، وقرروا العفو عن بعض الأساقفة الماكسيمانيين وأرجعوهم إلى حظيرة الكنيسة الدوناتية.[70]

عقد البريميانيون خلال الفترة 396-397م، بعد انتصارهم على الماكسيميانيين، مجمعا بمدينة "سيرتا" حوالي سنة 396م، وقد جرت المداولات حول

الإجراءات الواجب اتباعها تجاه العديد من الماكسيميانيين الذين تصالحوا مع كنيسة دوناتوس الكبرى. [71] كما شهدت سنة 397م أيضا انعقاد مجمعين: الأول بتاموقادي (*Thamugadi*) برئاسة "بريميانوس"، وانعقد قبل هزيمة الثائر "جيلدون" (*Gildon*) بأشهر قليلة، والثاني في مدينة ميلاف (*Milev*) "ميلة" حاليا في أواخر سنة 397م. [72]

كان أوبطاتوس التاموقادي –في تلك الفترة–الرجل القوي في المنطقة، وبتهديداته فرض السلام على الفريقين المتنازعين البريميانيين والماكسيميانيين، وبعد انتصار البريميانيين بإعادة الماكسيميانيين إلى خط بريميانوس أي إلى الكنيسة الدوناتية "الأرثوذكسية"، أثنى المجتمعون في ثاموقادي من البريميانيين على أوبطاتوس، بإحياء ذكرى سيامته الكنسية (*Optati Natalitia*). [73]

ويلاحظ أن المجامع الدوناتية التي ذكرها أوغسطين منعت أنصارها من الإستشهاد (الإنتحار) الإرادي (*Martyre volontaire*)، [74] والذي أصبح فضيحة في جبين الدوناتية [75] بالنظر إلى ارتفاع عدد الضحايا وطريقة الإنتحار، ورغم ذلك فإن هذا المنع لم يوقف مسألة الإنتحارات التي لم يشهد المغرب القديم مثيلا لها خاصة في العشرين (20) سنة الأولى من القرن الخامس الميلادي. [76]

وهكذا توسعت رقعة الحركة الدوناتية، إذ تعدت حدود نوميديا إلى البروقنصلية وبيزاكينا، والطرابلسية والموريطانيتين، واستفادت من ظروف تلك الفترة ووقفت الند للند مع الكاثوليكية.

3–مراحل الصراع الدوناتي الكاثوليكي ودور أوغسطين: مر الصراع الدوناتي الكاثوليكي عبر تاريخه الطويل بأربعة مراحل، ثلاثة منها في الفترة الرومانية، ثم ضعف

تدريجيا في نهاية الفترة الوندالية ليختفي خلال الفترة البيزنطية في أواخر القرن السادس الميلادي. سنعالج المراحل الثلاث الأولى الخاصة بفترة الدراسة وهي على النحو الآتي:

3-1-إرهاصات الصراع (305-316م): تمتد هذه المرحلة من انعقاد مجمع سيرتا في 5 مارس 305م قبل شهرين من استقالة واعتزال الإمبراطور "ديوكليتيانوس" [77] (*Dioclétianus*) إلى سنة 316م تاريخ إدانة الكنيسة الدوناتية المنشقة من قبل الإمبراطور قسطنطين" *Constantin*".

وقد تزايد الاضطهاد في هذه الفترة، الأمر الذي دفع بعض القساوسة إلى الردة والضعف أمام حدة الإضطهادات، حيث اضطروا إلى تسليم الأواني والكتب المقدسة إلى السلطة الزمنية، فكان "بروتوكول سيرتا" (*Concili Cirtensis*) بداية القطيعة بين أولئك الذين ضعفوا وتخاذلوا (الكنيسة الكاثوليكية)، وأولئك الذين صمدوا وقاوموا (الكنيسة "المنشقة" الدوناتية). كما اعتبر هذا البروتوكول أيضا بداية لانعقاد سلسلة من المجامع (*conciles*) بين الكنيستين الكاثوليكية والدوناتية.

وقد أثارت حدة هذه الإضطهادات حماسة السكان في المغرب القديم منذ أحداث قرية "أبيتينا" (*Abitina*) حيث أصبح نداء ضحايا تلك الأحداث بمثابة الميثاق الديني والاجتماعي، الذي عرف بتصريح "شهداء أبيتينا" (*act martyrum*). [78] وتخليدا لهؤلاء الشهداء أقيمت النصب المخلدة لهم [79] والتي اكتشفت في العديد من مدن وأرياف المغرب القديم.

3-2-اضطهاد وقمع الدوناتيين (317 – 392م): شهدت هذه المرحلة الثانية حركة نشيطة في تاريخ الصراع بين الدوناتية من جهة، والكنيسة الكاثوليكية الرسمية مدعمة من طرف السلطة الرومانية من جهة ثانية، وتمتد هذه المرحلة من أول اضطهاد سنة 317م في عهد الإمبراطور "قسطنطين"، إلى غاية سنة 392م تاريخ دخول

القديس أوغسطين ساحة مواجهة الدوناتية ومجادلة زعمائها بعد توليه المهام الدينية بأسقفية هيبو- ريجيوس" [80] *Hippo- Regius* "عنابة حاليا".

وقد عرفت هذه المرحلة عدة أحداث هامة كان لها الأثر البالغ في تطور أو تراجع الكنيسة المنشقة منها: صدور مرسوم التسامح سنة 321م، ومرسوم الوحدة والاضطهاد سنة 347م، ثم رد الفعل العنيف أيام الإمبراطور "جوليان المرتد" (*Julien l'apostat*) سنة 362م، فصدور عدة مراسيم ضد الكنيسة المنشقة ابتداء من سنة 373م.

تعرض الدوناتيون إلى أول اضطهاد في عهد الإمبراطور "قسطنطين" عندما أصدر قانون سنة 317م الذي يقضي بمصادرة الكنائس الدوناتية وكل الأماكن التي كان يجتمع بها المنشقون ونفي زعمائها، بهدف تصفية الدوناتية. لذلك أمر الإمبراطور محافظيه بضرورة تطبيق القانون بصرامة، حيث قامت السلطة السياسية مع رجال الكنيسة الرسمية بمنع الدوناتيين من دخول الكنائس والاعتصام بها. [81] فما كان على الدوناتيين إلا مواجهة تلك الإجراءات بالدفاع عن كنائسهم، وحدثت مواجهات عنيفة في عدة كنائس في قرطاجة أسفرت عن قتل العديد من المتعصبين–على حد قول مونصو–، ودفنوا في نفس الكنائس التي سقطوا بها قتلى.

يبدو أن قسطنطين (*Constantin*) انتهج هذه السياسة القمعية، بعد انتصاره على غريمه "ماكسانتيوس" (*Maxentius*)، تلك السياسة التي اتسمت بالانحياز إلى صف "كايكيليانوس" الذي أصبح المستفيد الوحيد في المغرب القديم من الكرم والسخاء الإمبراطوري، الأمر الذي دفع أسقف قرطاجة إلى اتخاذ جملة من الإجراءات التي تحولت إلى أحكام أدانت الدوناتية.

3-3- دور أوغسطين في حظر الدوناتية (392-411م): ظلت الحركة الدوناتية - وعلى مدار 80 عاما- قوية متماسكة، وقفت في وجه الكنيسة الكاثوليكية الرسمية المدعمة من السلطة الرومانية، محبطة كل سياساتها ووسائلها للقضاء على الحركة، أي منذ انتخاب الأسقف "ماجورينوس" (*Majorinus*) أسقفا لكنيسة قرطاجة سنة 312م بعد وفاة "مونسوريوس" (*Mensurius*)، إلى سنة 392م، حيث عرف المغرب القديم حدثين بارزين: يتمثل الأول في وفاة زعيمي الكنيستين المتنافستين، "جنثليوس" [82] (*Genethlius*) أسقف كنيسة قرطاجة الكاثوليكية الذي خلفه "أوريليوس" (*Aurelius*)، ووفاة "بارمينيانوس" (*Parmenianus*) من أشهر أساقفة وزعماء الكنيسة الدوناتية، الذي أعاد تنظيمها وترأسها لمدة تقارب الأربعين سنة. [83] أما الحدث الثاني فهو تعيين القديس أوغسطين أسقفا جديدا على رأس أسقفية هيبو-ريجوس [84] (*Hippo-Regius*) "عنابة" حاليا، والذي لعب دورا بارزا في إحداث الانشقاق داخل الحركة الدوناتية، باستعمال كل الوسائل والإمكانات بما في ذلك شرعية استخدام القوة لإعادة المنشقين إلى الكنيسة الكاثوليكية. [85]

ودعا القديس أوغسطين إلى ضرورة اللجوء إلى "إرهاب مجد" تقوم به السلطة الزمنية لحمل الدوناتيين على الرجوع إلى الكنيسة الكاثوليكية اعتمادا على قول المسيح (عليه السلام): « ادفعوهم إلى دين الله دفعا » [86] (*Compelle Intrare*).

رفض الدوناتيين حضور مناظرة قرطاجة سنة 411م-التي قرر الإمبراطور هونوريوس عقدها بين الكاثوليك والدوناتيين-إلا مرغمين وتحت التهديد. وقد ساهمت تلك المناظرة في تطور الجدل الكلامي بين مفكري الكنيستين، وبروز شخصيات فذة

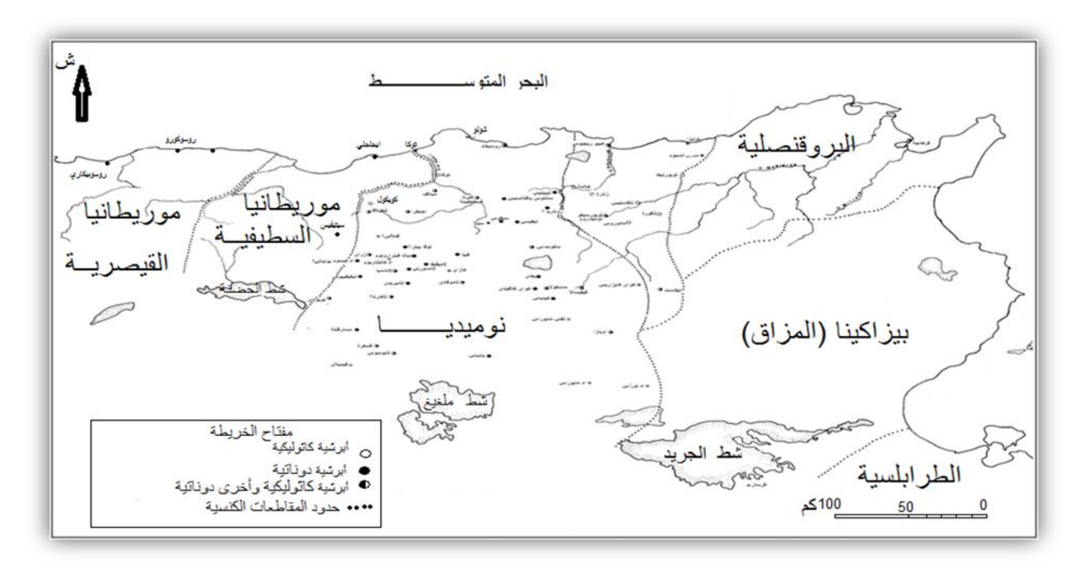
ومفكرين من هذا الجانب أو ذاك، بعضهم لعب أدوارا أساسية في تطور الفكر المسيحي برمته، ونقصد بذلك القديس "أوغسطين" [87] والفقيه الدوناتي المنشق " تيكونيوس". [88]

والواقع أن تلك المناظرة تعد حدثا بارزا في تاريخ المسيحية في المغرب القديم، إلا أن الدوناتيين لم يكونوا متحمسين لها، وهم الذين مروا بتجارب عديدة سابقة تعاملوا فيها مع الكاثوليك ومع السلطة الزمنية، التي أصدرت في حقهم قوانين ومراسيم عديدة. وأيقنوا أن هذه السياسة التقليدية لن تنطلي عليهم، وهم يعلمون كذلك أن المحافظ الذي سيترأس المناظرة كاثوليكي، ومع ذلك قرروا خوض تلك المغامرة، خاصة بعد أن طمأنهم "ماركيلينوس" (*Marcellinus*) بأنه سيكون متجردا ونزيها.

استغرقت تحضيرات المناظرة مدة طويلة بلغت حوالي ستة أشهر [89] من تاريخ أول مرسوم أصدره المحافظ "ماركيلينوس" في 19 جانفي 411م دعا فيه للمناظرة، إلى تاريخ انعقادها في 1 جوان 411م. [(90)] حاول المحافظ الإمبراطوري –بهدف حمل الدوناتيين على المشاركة في جلسات هذه المناظرة –التملق للمنشقين، فوعدهم بإعادة الكنائس والممتلكات إلى كل الأساقفة الذين يبدون رغبتهم للمشاركة في مناظرة قرطاجة. [(91)]

يبدو أن المحافظ نجح في مسعاه، ذلك أن"بريميانوس" (*Primianus*) الزعيم الدوناتي المعروف بتشدده، تخلى عن عناده ودعا في رسالة وجهها الى كل الأساقفة الدوناتيين للمشاركة في المناظرة. يظهر أن هناك تقارب بين ممثلي المقاطعات الكنسية الممثلة في مناظرة قرطاجة (خريطة رقم 1) أي مندوبي الكنيستين الكاثوليكية والدوناتية في هذا المؤتمر، الذي افتتح أشغاله [(92)] في 1 جوان سنة 411م بمدينة قرطاجة.

خريطة رقم 1: المقاطعات الكنسية الممثلة في مناظرة قرطاجة سنة 411م.



(ترجمة الباحث)

نقلا عن: *- Morizot (P.), Nasraoui (A.), A propos des ruines de la vallée de Mellagou (Aurès, Algérie). Les vestiges chrétiens de Baïnou et la mosaïque découverte à Bouzouamel, C.R.A.I., 145e année, n°2, 2001, (pp. 877-892.), p.887.*

ويشير "أوغسطين" في كتابه:" ملخص محضر المناظرة مع الدوناتيين" [93] (*Bevicus collationis cum Donatistis*) أن المؤتمر ترأسه السيناتور "ماركيلينوس" (*Marcellinus*) بمساعدة فريق من المحضرين القضائيين وكتاب المحكمة (*Notarii*) ومندوبي (*Actores*) الكنيستين الدوناتية والكاثوليكية. واستغرقت أشغال المؤتمر[94] ثلاثة جلسات (1-8 جوان 411م) بإدانة صريحة للدوناتية. وكانت إدانة نظرية مبدئيا، حيث سارع المحافظ الإمبراطوري "ماركيلينوس" بأمر من الإمبراطور "هونوريوس" إلى إصدار مرسوم حظر وإلغاء الدوناتية رسميا في 26 جوان سنة 411م ونشر هذا المرسوم في قرطاجة. [95] وقد حاول الدوناتيون استعمال جميع الطرق لتأخير التصريح بالحكم، كتحرير مقالات النقد، وخطب الوعظ، وشنوا حملة ضد الكاثوليك وضد رئيس المؤتمر "ماركيلينوس" الذي اتهموه بالارتشاء والتحيز والمحاباة. [96]

يبدو أن الغزو الوندالي [97] لبلاد المغرب ساهم بشكل غير مباشر، في إنقاذ ما تبقى من الدوناتية، وإضعاف أكبر أعداء الانشقاق الدوناتي وهي السلطة الرومانية التي بدأت تفقد مقاطعاتها الإفريقية شيئا فشيئا من جهة، وتعرض الكنيسة الكاثوليكية بدورها للاضطهاد الوندالي من جهة ثانية.

خاتمـــة:

استطاعت الحركة الدوناتية أن توسع رقعتها، إذ تعدت حدود نوميديا إلى البروقنصلية وبيزاكينا والطرابلسية شرقا، والموريطانيتين غربا، واستفادت من ظروف تلك الفترة ووقفت الند للند مع الكاثوليكية. لكنها انفردت بالسيطرة على نوميديا، فقد اكتسحت وملكت قلوب الناس في المراكز الحضرية الكبرى -آنذاك- مثل مدينة هيبو-ريجيوس "عنابة" ومدينة بغاي معقل الدوناتية، إلى درجة أن الأسقف الدوناتي لا يجد

خصوما في بعض المناطق. وكانت الكنيسة الدوناتية تتقدم كل سنة بخطوة، والكنيسة الكاثوليكية تتراجع خطوات حتى كادت منطقة المغرب القديم أن تكون دوناتية بحتة قبل دخول القديس أوغسطين ساحة المواجهة.

إلا أن الانشقاق الدوناتي اختفى من التاريخ بصورة نهائية في سنة 598م، بعد ثلاثة قرون من الوجود والمقاومة. إن هذا الاختفاء المفاجئ في أواخر القرن السادس الميلادي يعود إلى سببين رئيسيين:

أولا: أن البابا "غريغوار الأكبر" [98] لم يذكر الدوناتيين والدوناتية في مراسلاته خلال الست سنوات الأخيرة من فترته البابوية التي انتهت في سنة 604م. ويمكن أن نفترض أن المنشقين هدأوا نوعا ما خلال السنوات الأخيرة من القرن السادس الميلادي.

ثانيا: إذا كنا نجهل خلال الفترة الممتدة من سنة 590م إلى سنة 598م هل كان المنشقين أكثر نشاطا وجرأة وتهديدا، رغم أنهم وإلى بداية القرن السابع الميلادي كانوا يسيطرون على جزء واسع من نوميديا، فإن لم تصلنا أخبارهم بعد هذه الفترة فلأن المصادر التاريخية لم تتحدث عنهم أو تجاهلتهم.

يبدو أن الانشقاق الدوناتي استمر مدة أطول في بعض المناطق، فقد وجد الفاتحون المسلمون الأوائل عند دخولهم الأرض الإفريقية في منتصف القرن السابع الميلادي بعض الجماعات والطوائف التي لا زالت وفية لكنيسة دوناتوس في بلاد المغرب القديم.

الهوامش:

1) Traditores : من الفعل اللاتيني : Trado (Transdo), didi, ditum, ere بمعني "سلم إلى" أي عملية تسليم الكتب المقدسة إلى السلطة المضطهدة وقد عرفت في النصوص بـ Traditio و"المسلم" (Traditor). - Félix Gaffiot, Dictionnaire -

Abrégé Latin Français, Hachette, Paris, 1936, p. 657.

2) Monceaux (P.), Histoire Littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines Jusqu'a l'invasion arabe, t. I, Ernest Leroux, Paris, 1902, IV, p.193 ; Brisson (J.P.), Autonomisme et Christianisme dans l'Afrique Romaine, Paris, de Boccard, 1958, p.123.

3) - Duchesne (L.), « le Dossier du Donatisme », M.E.F.R.A., X, 1890, pp. 589- 650.

4) أوبطاتوس الميلي، (320م -385م) ولد في إفريقيا، كان أسقف مدينة ميلاف النوميدية (ميلة حاليا على بعد 50 كلم شمال غرب قسنطينة)، خلال القرن الرابع الميلادي، من أشهر أحبار زمانه، دافع عن الكنيسة الكاثوليكية ضد الدوناتيين، من أبرز مؤلفاته: " De Schismate Donatistarum " توفي حوالي 385م. - Bouillet (M.N.), Dictionnaire Universel d'Histoire et de Géographie, Paris, , 1878, p.1383.

5) بارمينيانوس، (Parmenianus) ثاني أسقف دوناتي، خلف دوناتوس الأكبر على رأس الكنيسة الدوناتية وأبرشية قرطاجة (355-392م) ألف كتابا ضد الكنيسة الكاثوليكية يرجح أنه كان بعنوان: ضد كنيسة المتخاذلين Adversus Ecclésiam Traditorum".- Monceaux (P.) , H.L.A.C., V, pp.241-263.

6) -Duchesne (L.), Op, cit., p. 62.

7) Lapsi، من الفعل اللاتيني : (Labor, Lapsus Sum) ويعني "الذين أخطأوا" أو "الذين سقطوا". - Félix Gaffiot, Op.cit., pp. 353, 357.

8) - Brisson (J.P.), Op.cit, pp. 70- 71, 156.

9) سببت هذه الاضطهادت خلافات حادة بين المسيحيين في المغرب القديم، وذلك بعد اضطهادات الإمبراطور دكيوس "Décius" (249-250م). -Warmington (B.H.), The North African provinces from Dioclétian to the Vandal conquest, Cambridge, 1954, p.78.

10) **أبيتينا**، Abitina/ Avitina/ Abithina ، مدينة صغيرة في حوض نهر المجردة، هي خرائب "شهود الباطن" حاليا قرب مدينة مجاز الباب بتونس، - Beschaouch (A.), « Sur la localisation d'Abitina… », C.R.A.I., 1976, pp. 255- 266 ; Toulotte (Mgr.), Géographie de l'Afrique Chrétienne, Numidie, Typographie Oberthur, Rennes-Paris, 1892, pp. 108- 108.

11) - Allard (P.), la persécution de Dioclétien et le triomphe de l'église, Victor Lecoffre, Paris, 1900, t. I, IV, pp.261-273.

12) - Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, pp. 12- 13, V, p. 4.

13) **مونسوريوس** (Mensurius)، أسقف قرطاجة في بداية القرن الرابع الميلادي، ذكره أوبطا الميلي والقديس أوغسطين، وقد اتهمه الإمبراطور ماكسينتيوس (Maxentius) بعدم تسليم الكاهن فليكس (Félix) ولكي يبرئ ساحته لبى دعوة الإمبراطور بزيارة روما، و توفي في طريق عودته من روما سنة 311م. -Toulotte (Mgr.), Op.cit, p. 84.

(14 Optat (St.), I, 13- 14, d'après Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, p. 13.

15) **سيلفانوس**، أحد الأساقفة الذين طعنوا في انتخاب كايكيليانوس أسقف قرطاجة، وعينوا مكانه ماجورينوس Majorinus الذي خلفه دوناتوس الأكبر (Donatus le grand).

-Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, p. 28.

(16 -Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, p. 13.

(17 -Optat (St.), I, p 17.

(18 -Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, p. 17.

(19 -Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, p. 14.

(20 -Brisson (J.P.), Op.cit, pp. 126-127 ; Raynal (D.), « Culte des martyres et propagande Donatiste à Upenna », C.T., t. XXI, n° 81- 82, 1973, pp. 46- 47.

21) خرائب **أبتوكني** (Abthugni): هي مدينة صغيرة مجاورة لمدينة قرطاجة تعرف حاليا باسم "هنشير السوار" (Hr.Es-Souar) جنوب مدينة زغوان بتونس. - Mesnage (J.P.), l'Afrique chrétienne, Ruines Antiques et évêchés, Paris, Ernest Leroux, 1912, P.277.

(22 Jacques-Paul (Dir.), Pluquet (l'abbé), Dictionnaire des Hérésies, des erreurs et des schismes, t. I., Ateliers catholiques, Paris, 1847, pp. 646- 647.

23) - Mourre (M.), Dictionnaire encyclopédique d'histoire, Bordas, 1978, p.1408.

24) **ماجورينوس** (Majorinus): أسقف دوناتي اشتهر بالخطابة، انتخب أسقفا لمدينة قرطاجة بعد إدانة كايكيليانوس، ويرجح أنه مات في 2 أكتوبر 313م. - Dictionnaire des Hérésies, p. 648 ; Optat (St.), I, 19.

25) - Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, p. 19.

26) - Gsell (S.), l'Algérie dans l'Antiquité, Adolphe Jourdan, Alger, 1903, p. 113.

27) - Optat (St.), I, 19- 20.

28) - Optat (St.), I, 18- 19.

29) **لوكيلا** " **لوسيلا**" (Lucilla)، امرأة قرطاجية من أصول أسبانية، وحسب ما ذكره أوبطا الميلي فإن سبب الخلاف بينها وبين كايكليانوس يعود إلى غضب لوكيلا من مطران قرطاجة، التي لم تتقبل نصائحه بعدم تقبيل عظم بشري تعتقد أنه لشهيد. - Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, pp. 15- 16.

30) - Optat (St.), I, 18- 19.

31) -Augustin (St.), Cont. Epist. Parmen., 43, 6, 17; Contra Cresconium, III, 28- 29.

32) - Martroye (F.), « une tentative de révolution, sociale en Afrique, Donatistes et Circoncellions », R.Q.H., T.32, 1904, p. 361.

33) **دوناتوس**: (Donatus)، أكد الدوناتيون في مناظرة قرطاجة سنة 411م أن هناك شخصين يدعيان دوناتوس، الأول دوناتوس "الديار السوداء" Donatus Casae Nigrae من مدينة بغاي Bagai (قرب خنشلة حاليا) بنوميديا، وهو الذي صدر في حقه أول حكم ضد الدوناتية في مجمع روما سنة 313م، والثاني دوناتوس "الأكبر" المعروف بالقرطاجي الزعيم الدوناتي الذي نظم وقاد الكنيسة الدوناتية مدة 40 سنة إلى أن توفي في سنة 355م, - Martroye (F.), une tentative de revolution sociale , Op.cit., p. 368. لكن بعض المؤرخين المحدثين يتفقون على شخص واحد يحمل هذا الاسم ومنهم بريصون ومونصو:- Monceaux (P.), « les premiers temps du donatisme et la Question des deux Donat », in C.R.A.I., n° 1, 1916, p.50 ; Brisson (J.P.), Autonomisme et christianisme, p. 237.

34) - Optat(St.), III, 3.

35) - Augustin (St.), Epist., 88, 2.

36) - Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, p.20.

37) ظل كايكيليانوس على رأس أسقفية قرطاجة إلى غاية وفاته سنة (337م-340م) وخلفه "روفوس" Rufus (الذي توفي حوالي سنة 342م-343م) -Maier (J.L.), l'épiscopat de l'Afrique Romaine, Vandale et Byzantine, Bibliothéca Helvetica Romana, XI, Institut Suisse de Rome, 1973, p. 95, 453.

38) -Lancel (S.), Actes de la Conférence de Carthage en 411, T. I : Introduction, S.C., n° 194, Paris, 1972, pp. 9- 25.

39) من الشخصيات التي كان لها تأثير على الفكر المسيحي، الفقيه الدوناتي "تيكونيوس" Tyconius الذي انفصل عن الدوناتيين، لكنه لم يلتحق بالكاثوليك، والذي كان له تأثير كبير على أوغسطين. - Congar (Y.), Note complémentaire n° 10, « Parmenianus et Tyconius », B.A., 28, p. 718- 721.

40) - Congar (Y.M.J.), B.A., 28, pp. 80- 124 ; Brisson (J.P.), Op.cit, p. 84.

41) - Martroye (F.), la répression du Donatisme et la politique religieuse de Constantin et de ses successeurs en Afrique, M.S.N.A.F., 1914, p. 392.

42) - Cod. Théod., IX, 34, 5.

43) بولوس وماكاريوس، مبعوثان إمبراطوريان أرسلهما الإمبراطور قسطانتوس وكلفهما بتوزيع المؤن سنة 347م في المغرب القديم خاصة في نوميديا معقل الدوناتية لمحاولة إقناع الدوناتيين بالرجوع إلى الوحدة الدينية الكاثوليكية. - Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, p.34.

44) - Optat (St.), I, 6- 7, III, 9- 10 ; Brisson (J.P.), Op.cit., p.292.

45) - Augustin (St.), Lettres, CV, 2, 9 ; Julien (Ch.A.), Histoire de l'Afrique du nord, S.n.e.d., Alger, 1978, p. 217.

46) - Cod. Theod., XVI, 6, 2.

47) - Optat (St.), III, 4.

48) - Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, p. 125.

49) - Ibid., IV, pp. 35- 36.

50) -Pallu de Lessert, Fastes des provinces Africaines sous la domination Romaine, t. 2, Paris, 1901, p. 243.

51) الكونت (Conte)، منصب استحدثه الإمبراطور قسطنطين الذي عين عددا من أتباعه في مهام متنوعة: مالية، عسكرية وإدارية بجانب الحكام والولاة، وكان كونت إفريقيا يعوض الوالي (Vicerius) أو يعمل قائدا للجيش.

52) **سلفستير** (Sylvestre)، قديس كاثوليكي، من مواليد روما، عين بابا من 314 إلى 336م، تميزت فترة حكمه بنهاية الاضطهاد، وانعقاد مجمع نيقية (Nicée) سنة 325م أول مجمع مسكوني. –Petit (P.), Histoire Générale de l'empire Romain, t. I, le Haut- Empire (27 av. J.C.- 161 ap. J.C.), Paris, 1974, pp.73-74.

53) - Optat (St.), III, 4.

54) - Optat (St.), III, 6; Augustin (St.), Contra. Litter. Petil., II, 20, 46.

55) - Passio Marculi, p. 761; d'aprés Monceaux (P.), H. L .A. C., IV, pp. 335- 336.

56) عن مطابقة فيجيزيلا مع قصر الكلب أنظر: - Cayrel (P.), « une basilique donatiste de Numidie », M.E.F.R., LI, 1934, p.114; Duval (N.), une nouvelle édition du « dossier du Donatisme », R.E.A., n°35, 1989, pp.171-179, (p.174).

57) - Monceaux (P.), H. L .A. C., IV, p. 37.

58) نوفابترا (Nova Petra) ، تعني الصخرة الجديدة، وهي منطقة تبعد عن ديانا (Diana Veteranorum) زانة حاليا شمال باتنة بحوالي 20 كلم ، وبحوالي 22 كلم عن جميلاي Gemellae (القصبات حاليا)، اعتبرت مدينة مقدسة لدى الدوناتيين بعد مقتل ماركولوس.- Tissot (Ch.), Géographie Comparée de la province Romaine d'Afrique, Paris, 1888, II, p. 509 ; Gsell(S.), A.A.A., f.27, n° 3, 62 ; Ragot (W.), «le Sahara de la province de Constantine », R.S.A.C., XVI, 1873- 1874, p. 228.

59) - Birebent (J.), Aquae Romanae, service des antiquités de l'Algérie, 1961, pp. 364- 365.

60) - Gsell (S.), Notes d'archéologie Algérienne, B.C.T.H., 1899, p. 455 ; Id., A.A.A., f. 28, 171.

61) - Julien (Ch.A.), Op.cit., p. 217.

62) - Optat (St.), III, 6 ; Augustin (St.), Cont. Litter. Petil., II, 20, 46.

63) أوريليوس (Aurélius)، أسقف كاثوليكي، ترأس مجمع هيبو- ريجوس (Hippo-Regius) "عنابة حاليا" سنة 393م، وكان خصما عنيدا للأسقف الدوناتي بريميانوس (Primianus) ويعتبر مجمع هيبون أول مجمع كاثوليكي يترأسه من بين المجامع العشرين التي شارك فيها. - Mesnage (J.P.), l'Afrique chrétienne…, p.5.

64) - Augustin (St.), Lettres, LXXXVIII ; Julien (Ch. A.), Op.cit. p.217.

65) - Optat (St.), III, 1.

66) **بغاي** (Bagai)، (قصر بغاي أو بغاية حاليا، تقع شمال غرب مدينة خنشلة بحوالي 12 كلم)، ذكرت كأسقفية في مجمع قرطاجة سنة 256م، تعتبر من أكبر معاقل الدوناتية، وقعت بها

معظم أحداث التاريخ الدوناتي خاصة معركة سنة 347م، وانعقد بها مجمع البريميانيين سنة 394م الذي ضم 310 أسقفا دوناتيا لإدانة ماكسيميانوس، ومع ذلك لم يعثر بها على كنيسة أو بازيليكا، كانت بغاي بلدية رومانية (Municipium Romanum) في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي. لم تذكر بغاي في" مسلك أنطونينوس" (Itinerario Antonini)، ولا في" لوحة بوتينغر" (Table de Peutinger). - Mesnage (J.P.), l'Afrique chrétienne, pp. 253- 255 ; Augustin (St.), Epist., LI, 2 ;Cont. Epist. Parmen., I, 11, 18 ; Brisson (J.P.), Op.cit., p.226.

67) تخاصم الفريقان البريمياني والماكسيمياني الكنائس في حملة فريدة من نوعها، ولجأ كل فريق إلى السلطة لإنتزاعها من الفريق الآخر، والغريب أن الدوناتيين لجأوا إلى قضاة السلطة الرومانية، لمحاولة التخفيف من حدة القمع الذي كانت تتعرض له الكنيسة الدوناتية أو لإلتماس العقوبات ضد المنشقين عنها. -Augustin (St.), C. Cresc., III, 59.

68) -Augustin (St.), Contra Epistulam Parmen, I, 10- 13.

69) كان أوغسطين خلال هذه الفترة مجرد راع كاثوليكي (Presbyter) بسيط حينما حضر مجمع هيبو ريجوس (Hippo- Regius) "عنابة حاليا" سنة 393م، في هذا الوقت بالذات بدأ حملته ضد الدوناتية بكتابة « Psalmus Contra Partem Donati » (مزمور ضد حزب دوناتوس). - Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, p. 61.

70) - Augustin (St.), Cont. Epist. Parmen., I, 11, 18 ; Brisson (J.P.), Op.cit., p.226.

71) -Augustin (St.), Contra Epistulam Parmen, I, 10- 13.

72) -Monceaux (P.), H.L.A.C., IV., p. 130 ; Brisson (J.P.), Op.cit., pp. 229- 230.

73) وفرت مطالب البريميانيين مبررات قانونية حاسمة للكاثوليك سمحت لهم أيضا بالتوجه الى المحاكم والمطالبة بالكنائس، واعتمدت الدعاية الكاثوليكية على إظهار التشابه الموجود بين الانشقاق الماكسيميايي في سنة 392م والانشقاق الدوناتي قبل ثمانين سنة. Augustin (St.), Contra -Cresconium, III, XV, 18; XXV, 28

74) - Augustin (St.), Epist., XXXIV, 5 .

75) - Augustin (St.), C. Litter. Petil., I, 10, 11 ; C. Cresc., III, 60, 66 ; Epist., CVIII, 2, 5.

76) - Augustin (St.), Contra Cresc., III, 49, 54.

77) كان الدوناتيون والدوارون يلقون بأنفسهم من أعلى الجروف طلبا للإستشهاد (الإنتحار الإرادي) –حسب أوغسطين–وكانوا ينتحرون بطرق ثلاث: الماء والنار والإرتماء من الجروف. - Id., Contra Litter. Petil., II ; XLIX, 114 ; 32 ; XXXI, 37 ; Brisson (J.P.), Op.cit., p. 351.

78) - Martroye (F.), « une tentative de révolution, sociale en Afrique, Donatistes et Circoncellions », R.Q.H., T.32, 1904, p.354.

79) - Monceaux (P.), H.L.A.C., V, p. 4.

80) - Audollent (A.), « Mission Epigraphique en Algérie », M.E.F.R.A., 1890, p. 526.

81) **جنثليوس** Genethlius ، كان أسقفا كاثوليكيا لكنيسة قرطاجة في حوالي 390م، توفي حوالي سنة 392م، عين في أواخر سنة 392م أسقفا لنفس الكنيسة، وترأس مجمع هيبون المنعقد في 8 أكتوبر 393م. - Augustin (St.), Epist., XLIV. 5, 12 ; XXII ;

Mesnage (J.P.), l'Afrique Chrétienne…, p. 5.

82) -Martroye (F.), une tentative de révolution sociale, Op.cit, p. 387- 388.

83) -Monceaux (P.) , H.L.A.C., IV, p. 469.

84) - Julien (Ch.A.), Op.cit., pp. 226- 227.

85) شنيتي م. البشير، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، الجزائر، 1984، ص 300.

86) دفعت المساجلة الكلامية مع الدوناتيين "أوغسطين" إلى إعادة التفكير في مشكل الكنيسة والأسرار. عن هذا الجانب اللاهوتي يمكن الرجوع إلى المقدمة التي وضعها "كونغار" لكتاب "أوغسطين" عن الدوناتية..-Brisson (J.P.), Op.cit., p. 84.

87) يعد الفقيه الدوناتي "تيكونيوس" Tyconius من الشخصيات الدوناتية التي كان لها تأثير على الفكر اللاهوتي المسيحي، الذي انفصل عن الدوناتيين، لكنه لم يلتحق بالكاثوليك، والذي كان له تأثير على القديس " أوغسطين". - Congar (Y.M.J.), Note complémentaire n° 10, « Parmenianus et Tyconius », B.A., 28, p. 718.

88) تبدأ هذه المدة من صدور المرسوم الذي أعلنه "ماركيلينوس" في 19 جانفي 411م إلى 1 جوان 411م تاريخ انعقاد المناظرة، وكانت هذه الفترة حافلة بالأحداث: كتعيين مساعدي رئيس المؤتمر، واستقبال الوفود المشاركة، وانتخاب المندوبين، وتوجيه العرائض والرسائل إلى المحافظ الإمبراطوري "ماركيلينوس". وفي18 ماي دخل الأساقفة الدوناتيين قرطاجة في موكب رسمي، كما حضر الأساقفة الكاثوليك، وفي 20 ماي أصدر"ماركيليونس" مرسوم ثان يحدد فيه مكان انعقاد المؤتمر وتاريخه والإجراءات المتعلقة بالمناظرة، وفي 25 ماي اجتمع الأساقفة الدوناتيين وحرروا عريضة أرسلت إلى رئيس المؤتمر إجابة على المرسوم الثاني تضمنت بعض التحفظات، ثم انتخبوا مندوبيهم وأبلغوهم التعليمات (Mandatum). - Augustin (St.), Brevic. Collat., I, 3,

4, 5, 7; II, 3; Epist., CXXVIII, 2.

89) Augustin (St.), Brevic. Collat., I, 1.

90) Augustin (St.), Brevic. Collat., I, 2; II, 3.

91) انعقد المؤتمر في قاعة واسعة وفاخرة في مدينة قرطاجة تعرف باسم (Thermae Gargilianae) ويبدو من اسمها أنها كانت منطقة غنية بالحمامات المعدنية.

- Augustin (St.), Brevic. Collat.,, I, 14.

92) لما كان محضر مناظرة قرطاجة الذي كتب وقائعه قاضي المؤتمر "ماركيلينوس" طويلا، فقد سهر أوغسطين على تلخيصه لتسهيل قراءته وتوجيه الرأي العام، ويعد الكتاب مصدرا هاما لمعرفة وقائع جلسات المؤتمر. وقد كتبه بعد انتهاء المناظرة في سنة 411م.

93) دار نقاش حاد بين الكاثوليك والدوناتيين استمر مدة ثمانية أيام (1-8 جوان 411م) في ثلاث جلسات وتتلخص أهم محاور هذا النقاش في الآتي: **أ**-صحة أو بطلان التهم الموجهة إلى الأساقفة الكاثوليك والتي تتعلق بالتخاذل والضعف أثناء فترة الإضطهادات الكبرى في عهد ديوكليتيانوس (Dioclétianus) 303-304م وقضية الارتداد وتسليم الكتب والأواني المقدسة. **ب**-أين توجد الكنيسة الحقيقية؟ هل هي الكنيسة الدوناتية أو الكنيسة الكاثوليكية؟ **ج**-احتجاج ممثلي الكنيسة الدوناتية على اضطهاد السلطة الزمنية لهم. **د**-احتجاج ممثلي الكنيسة الدوناتية على العرائض التي تقدم بها الكاثوليك ودعم السلطة السياسية لهم. - Actes de la conférence de Carthage en 411, édition de Serge Lancel, Tome III, Paris, Sources chrétiennes, 1972-1975, pp.929, 997.

94) - Augustin (St.), Brevic. Collat., III, 2, 2.

95) Augustin (St.), Epist., CXLI1, 12; Brevic. Collat., III, 18, .36.

96) **الوندال** Vandali، اسم مشتق من "Wendes" أو "Vendel" وهو اسم قرية سويدية في أوبلاند قد تكون الموطن الأصلي للوندال حسب ما ذكره كورتوا. وهم شعب جرماني كان يسكن ما بين نهري الفستولا(Vistule) والأودر (Oder) في بولونيا حاليا، على ضفاف بحر البلطيق خلال القرن الثاني الميلاد. - Evagre, Histoire Ecclésiastique, trad. M. Cousin, Paris, 1686, IV, 16 ; Courtois (Chr.), les Vandales et l'Afrique, Paris, 1955, pp.15-19.

97) **غريغوار الأكبر**، (540م-604م) ولد في روما، انتخب بابا سنة 590م، حينما غزا اللومبارديون إيطاليا وقيع اتفاقية مشرفة معهم وتنصير بعضهم، ساهم في إلغاء الرق، واهتداء بريطانيا والأريوسيين، اتهم بحرق الكتب المدنسة ومعابد الوثنيين، ترك العديد من الكتابات، المتعلقة بطقوس وشعائر العبادة في الديانة المسيحية. - Dict. Univ. Hist. Géo, p.792.